قراءة في كتاب

نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية

آصف إقبال *
Email: Iqubalasif2010@gmail.com

تحتل المعاجم الطبية العربية مكانة مرموقة في تعريب العلوم الطبية ونقل مبادئها إلى اللغة العربية؛ إذ الطب من أقدم العلوم وأسبقها التي شغلت بال الإنسان وحظيت عنايتهم منذ عيشهم في الأرض، كانت المدونات والوصفات الطبية من التراث العلمي الذاخر بما بذل الأطباء من مجهودات قصوى لتحسين مستوى العيش الإنساني وتطوير الرعاية الصحية البشرية، فأصبح الطب ودراسته من أهم العلوم وأكثرها تلبية للحاجات الإنسانية الحيوية.

اسم الكتاب: نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية: منظور تاريخي
اسم المؤلف: الدكتور محمد أكرم
الناشر: اصلاحي هيلتھ كيئر فاؤنڈيشن، نيو دلهى
الطبعة الأولى: 2018م
عدد الصفحات: 304
ثمن النسخة: 225 روبية هندية

تتفرع دراسة الطب البشري إلى بحوث علمية ووثائق بحثية، وفي طليعتها معاجم طبية يتصدى لوضعها الأطباء البارزون منذ انفجار العلوم الطبية تحديدا لهيئات وإجراءات طبية مختلفة. وكان للأطباء المسلمين العرب في العهود القديمة دور بارز لإحياء الطب وجمع المصطلحات الطبية وتدوين معاجمها ووثائقها بوجه منشود، حتى سارت فيهم المقولة المشهورة بأن الطب كان معدوما فأوجده بقراط، وميتا فأحياه جالينوس، ومتفرقا فجمعه الرازي، وناقصا فأكمله ابن سينا. وتتكاثر جهودهم بالتحديد في العصر العباسي، فبادروا لجمع الألفاظ الطبية وشرحها وتوضيح معانيها في كتب خاصة يمكن أن نعدها عن باكورة فن معاجم طبية متخصصة، ويقال إن أول معجم طبي عربي خاص بالاصطلاحات الطبية هو "كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية" لصاحبها منصور الحسن بن نوح القمري في أواخر الألفية العاشرة، (ص: 145).

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، الهند.

ويعالج الكتاب "نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية: منظور تاريخي" لصاحبه الدكتور محمد أكرم موضوعات مهمة ومبادئ أساسية للمعجم الطبي العربي المعاصر بشكل موضوعي، والدكتور محمد أكرم الذي يعمل كأستاذ مساعد لقسم اللغة العربية لجامعة دلهي، له غرام بالموضوع وأبعاده وولوع بدراسته ضمن إبراز مساهمة هذا الفن في إثراء اللغة العربية وتسهيل محتوياته على العارفين بلغة الضاد.

ولا يشك كل من له إلمام بالميادين الطبية أن الموضوع يحتل صدارة في مجالات الطبية العربية، وبزغت أهمية هذه المحاولة بأن طلاب الطب والأطباء العرب لا يجدون صعوبة في الكتابة باللغات المختلفة، ولكن تظهر الصعوبة إذا حاولوا الكتابة لغرض طبي باللغة العربية، وذلك لتغير مصطلحاته واتساع معارفه يوما فيوما.

يتناول الكتاب محتويات قيمة في عشرة أبواب إضافةً إلى مقدمة وقائمة طويلة للمصادر والمراجع، ويحرى لي التلميح إلى ما في هذه الأبواب بإيجاز.

يذكر الدكتور في الباب الأول علم المعاجم وتعريفه وتتطوره وتاريخ تدوينه وطريقة وضعه ومناهج ترتيبه وما إلى ذلك من قضايا هامة لفن المعاجم العربية بقسط من التفصيل. وبحثا عن نشأة المعاجم الطبية من منظور تاريخي وإحصاءً لأهم المعاجم الطبية العربية وفترة ظهورها في الباب الثاني يتطرق الباحث في الباب الثالث إلى إبراز الجهود الجبارة التي بذلها العرب في وضع المصطلحات الطبية، فبيّن ثلة من الأطباء العرب القدامى الذين أحرزوا السبق في المجال وقدموا إسهاماتهم القيمة إلى مجالات الطب كلها، كما يتناول البحث مدارس طبيبة ومجامع عربية لغوية وإسهاماتها في صياغة المصطلحات الطبية وتوحيدها ونشرها على مستوى العالم.

والباب الرابع والخامس من أشمل الأبواب وأكثرها استيعابا للبحوث الطبية، ومما يهمه القارئ في الباب أنه ذكر بتركيز خاص أصول وضع المصطلحات العربية والقواعد العربية الأساسية التي راعتها المجامع اللغوية العربية في وضع المصطلحات الطبية العربية. ويتم البحث في الأبواب الأربع الأخيرة بإيجاز عن اطراد المصطلحات الطبية العربية قديما وحديثا وتحديد معانيها، ويستوعب فيها جلّ مصطلحات تحدد أمراضا جسدية وعلل نفسية باللغة العربية والإنكليزية معا. وفي النهاية قائمة طويلة للمصادر والمراجع راعى فيها ترتيبا أبجديا.

ومما يشعر القارئ إبان قراءة الكتاب بأن المؤلف قد بذل بكل ما لديه من المساعي المشكورة في عرض هذا الكتاب المهم على الساحة العلمية بأسلوب رصين يراعي فيه ترتيبا منطقيا لا تعقيد فيه ولا التواء معتمدا على استخدام التعابير اللغوية الأكثر شيوعاً. وبالرغم من رشاقة الألفاظ ومتانة الأسلوب وسهولة المعنى التي يتحلى بها الكتاب، قد أمهل المؤلف عن إعمال القواعد الإملائية بشكل يورث القلق وربما يرتبك المعنى بين يدي القارئ، وكذلك تبث فيه أخطاء طباعية وتعقيدات لغوية يصعب الإشارة إلى جميعها في هذا المختصر. فمثلا يذكر في صفحة 98 اسم الشخص بـ "أحرن القس" بالحاء وفي الصفحة التالية يكتب اسمه بـ "أهرن القس" بالهاء، وكذا في الصحفة 101 عبارة "لتسهل على الأطباء والتراجمة أعمالهم"، وفي الصفحة 224 "ومن المعلوم أن صياغة المصطلحات كانت ما زالت".... وكتب في موضع "يعتبر هو أب للمعاجم الطبية العربية". ففي مثل هذه العبارات تلتبس المعاني وتغمض المطالب التي أرادها المؤلف تجسيدها من خلال الكتابة.

ومع ذلك كله قدّم المؤلف كتابا هاما أمام طلاب اللغة العربية وللباحثين في الطب وما يتعلق به، فالكتاب الذي يعتبر هو دليلًا في الموضوع يساعد الدارسين على تذليل الصعوبات اللغوية الطبية؛ لأن الباحث ربما لا يجد كلمة عربية طبية في المعاجم والقواميس المعاصرة. والكتاب يمتاز عما كتب في المجال من بضعة كتب أخرى في جمع الأشتات والمبعثرات من الموضوع، لأجل تناوله جوانب تاريخية ومطالب لغوية بطريق موضوعي، فإن كل ما ألف من عدة كتب حول الموضوع، كان يعالج طرفا من الموضوع ، إما يسرد مجرد المصطلحات الطبية العربية، أو يبحث عن نشأة المعجم الطبي تاريخيا فحسب. فتمس الحاجة إلى تأليف كتاب شامل باللغة العربية، فقد أنجز المؤلف هذه المهمة العلمية التي تعد صعبة المنال بأسلوب شيق، وسدّ الحاجة ومهد طريق المسيرة إلى الأمام للباحثين والمهتمين بالموضوع.